الفصل السادس

من مشاهير المطربين و المطربات
في عصر أم كلثوم
و محمد عبد الوهاب

من مشاهير المطربين والمطربات
فى عصر عبد الوهاب وأم كلثوم

حدد عصر عبد الوهاب وأم كلثوم مواصفات المطرب أو المطربة أيا كان لونه أو لونها تحديدا موضوعيا ، فكان على كل من يقترب من عرش الغناء أن يتمتع بموهبة وتدريب واستيعاب طيب يتاح له عن طريق الاستعانة بفن أهل هذه الصناعة ، فعندما ظهرت نور الهدى وليلى مراد وفايزة أحمد ونجاة الصغيرة وغيرها من الأصوات الواعدة كانت بدايتهن تقليد أم كلثوم ثم انفردت كل منهن بعد ذلك بطريقتها المستقلة ، وعندما ظهر عبد المطلب وعبد الحليم حافظ وغيره كان عبد الوهاب هو الأستاذ الذى يجب الاقتداء به .

أما الآن فنحن نسمع أصواتا نكراء لم يستفد أصحابها من خبرات من سبقوهم يطلق على أصحابها مطربين ومطربات ، وما فيهم من يستحق أن يطلق عليه هذا اللقب إلا القليل . وفيما يلى نعرض لبعض مشاهير المطربات والمطربين فى عصر الغناء الذهبى أيام عبد الوهاب . وأم كلثوم .

أولاً : ليلى مراد ملكة الأفلام الغنائية :

عندما وفدت ليلى مراد تلك الفتاه اليهودية الديانة المصرية المولد - إلى عالم الحياة فى السابع عشر من فبراير ١٩١٨ كانت مصر حُبلى بالثورة نتيجة لحركة الغليان الشعبى ضد الاحتلال البريطانى الذى سخّر المصريين لخدمة أغراضه خلال الحرب العالمية الأولى ، والذى ظل يتباطأ فى الموافقة على الاستجابة لمطالبهم فى الحرية والاستقلال ، حتى تمت ولادة الثورة فى عام ١٩١٩ وما ترتب عليها بحصول مصر على استقلالها المنقوص بتحفظاته الأربعة فى عام ١٩٢٢ وخلال ذلك عاشت مصر عدة تغييرات ، وبدأت حركات التنوير تطل عليها من كل جانب وظهرت نخبة من الوطنيين المصريين الذين حاولوا النهوض بها اقتصاديا واجتماعيا أمثال طلعت حرب ، وقاسم أمين ورفاقه . وعلى المستويين الأدبى والفكرى كان أمير الشعراء أحمد شوقى قد عاد من منفاه فى برشلونه عام ١٩١٩ وتخلى عن طبقته وانحاز إلى جانب العامة ، كما برز دور لطفى

ليلى مراد

فريد الأطرش

نجاة الصغيرة

فايزة أحمد

السيد وعباس العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم من الذين شقوا للعقلية المصرية طريقها نحو التنوير[١] .

أما فنيا فقد انعكست هذه التطورات المتلاحقة على حركتى الموسيقى والمسرح فازدهر المسرح الغنائى على يد الشيخ سلامة حجازى ، وسيد درويش ، ومنيرة المهدية وغيرها وخلال ذلك بدأ نجم عبد الوهاب وأم كلثوم فى التألق ، كما انبتت حركة التجديد أصوات مميزة أمثال ليلى مراد وأسمهان ونور الهدى وصباح وفايزه أحمد ونجاة الصغيرة وغيرهن من أصحاب الأصوات الجميلة .

وقد أدى الجو العام المفعم بالحركة فى مصر إلى بروز ليلى مراد كمطربة قبل عصر الميكروفون معتمدة على أحبال صوتها ، والسير بخطى سريعة نتيجة لتشجيع والدها المطرب "زكى مراد" لها وتدريبها على اقتحام مجال الغناء الذى أحبته من أبيها الذى ورثت عنه جمال الصوت ، كما أخذت منه الخبرة الكافية التى اعتمدت عليها أثناء دفعها لسوق الغناء فى الأفراح والحفلات التى يقيمها بعض الأثرياء ، وكانت وقتئذ لا تزال فى الثانية عشرة من عمرها ، أو فى التجوال ببضاعتها تحت رعاية أبيها فى قرى الصعيد كافة ومع تخت تقليدى تولى فيه ضرب العود وقتذاك الفتى الواعد رياض السنباطى[٢] وحتى يتعرف أكابر القوم على صوتها أقام لها والدها حفلا غنائيا فى أحد مسارح القاهرة فى عام ١٩٣٢ ، ساعده فى إقامته أمير الشعراء "أحمد شوقى" الذى حضر الحفل بنفسه وكان فى صحبته المطرب الصاعد "محمد عبد الوهاب" ، كما حضره مجموعة من الباشوات والبكوات ، وكان حفلا ناجحا خرجت منه "ليلى مراد" مطربة يعرفها كبار السميعة فى القاهرة ومطربة تتمتع ببصمة حنجرية فريدة ، وبشخصية ذات جاذبية سينمائية تتدفق مرحا وبشاشه فضلا على أنها صارت موضع اهتمام الموسيقار محمد عبد الوهاب[٣] الذى تبنى صوتها ، ولحن لها العديد من أغانيها [٤] وقد أتاحت لها الأقدار ظهور محطات الإذاعة الأهلية التى كانت تذيع أسطواناتها من خلال جهاز الراديو ، ثم ظهور الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية التى فتحت لها باباً واسعا عرفها المستمعون من خلال وجبة أسبوعية من الغناء ومن

---

(١) أشرف غريب : كل الطرق تؤدى إلى النجاح مقال بمجلة القاهرة عدد يناير ١٩٩٦ ص ٢٢٧ .
(٢) فرج العنترى : ليلى مراد أو بمامة التغريد فى السينما المصرية ، القاهرة ، عدد يناير ١٩٩٦م ص ٢٣٢ .
(٣) كمال النجمى : ليلى مراد ملكة الأفلام الغنائية ، القاهرة عدد يناير ١٩٩٦ ص ٢٢٤ .
(٤) عمرو عبد السميع : جمهورية الحب ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ص ٢١٠ .

خلال الأفلام السينمائية أيضا بعد أن أشركها "محمد عبد الوهاب" فى بطولة فيلم "يحيا الحب" ورشحها للوقوف امامه صوت وصورة كبطلة فى هذا الفيلم الذى كان بداية رحلتها فى السينما التى بدأتها فى عام ١٩٣٦ وفى ذلك الوقت كانت الأغنية السينمائية قد بدأت تتملك أذواق جماهير واسعة منذ ظهرت أفلام "الوردة البيضاء" و"دموع الحب" و"وداد" و"الغندورة" و"أنشودة الفؤاد" ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فأصبحت السينما سيدة الموقف ، وبلغت الأغنية ذروة الأهمية فى الفيلم السينمائى ٠ وخلال ذلك برز تأثير ليلى مراد فى أذواق جماهير السينما ، وصارت لأغانيها السينمائية مواصفات خاصة كلاما وتلحينا واداء لدرجة استحقت معها "ليلى مراد" بجدارة لقب "ملكة الأغنية السينمائية" وأول نجمه شباك فى تاريخ السينما المصرية خاصة وأنها لم تبعثر جهدها الغنائى كغيرها من المطربات فى أنشطة غنائية أخرى ، بل ألزمت نفسها بضرورات الأغنية السينمائية وكرَّست كل فنها الغنائى للسينما دون سواها ، والتزمت حدودها كمطربة سينمائية مبدعة أحب الناس روحها وشخصيتها كما كان لها جاذبيتها على الشاشه البيضاء٠ وقد أتاحت السينما لليلى مراد غناء عشرات وعشرات من أجمل الأغانى ، فى أفلامها السبعة والعشرين التى مثلتها ابتداء من فيلم "يحيا الحب" إلى فيلم "الحبيب المجهول" والتى كانت معظمها تبدأ باسمها مثل "ليلى بنت مدارس" و"ليلى بنت الريف" و"ليلى فى الظلام" و"ليلى بنت الفقراء" و"ليلى بنت الأغنياء" والتى لا زالت تأخذ طريقها إلى دور السينما وشاشات التلفزيون حيث ينطلق فيها صوتها الوردى الفريد الذى جمع بين التكوين الفنى المتماسك وخفة الحركة ، هذا بالإضافة إلى اشتراكها فى مجموعة من الأغانى والديالوجات الفكاهية التى لا زالت تطرب الناس حتى الآن كديالوج "شحات الغرام" الذى كانت تقف خلاله لتغنى فى شرفة غرفة نومها وفى أسفل الحديقة يقف العاشق الولهان " محمد فوزى" ليلا ليشاركها فى الغناء ، وديالوجات أخرى مع إسماعيل يس ونجيب الريحانى ، وشكوكو وغيرهم[١] ، كما أن مرحها فى فيلم "غزل البنات" وشقاوة معاكستها للأستاذ حمام وتراشقها معه (بالأبجد هوز حطى كلمن) قد حولها إلى نجمة سينمائية للعامة وليست مجرد مطربة ناجحه خاصة وأن صوتها كان يجمع بين الرقة والشاعرية من جانب والحيوية والمرح من جانب آخر كما كان يشعر المستمع بأنها لا تغنى بل تتكلم أو أنه يمكن لأى إنسان أن يغنى مثلها ، فكان صوتها يطرب له عامة الناس كما كان يطرب جمهور الصالونات ٠ وهى فى هذا كله لم يتذبذب مستوى نجاحها بين ملحن وآخر بداية

---

(١) كمال النجمى ، مقال سابق ص ٢٢٦

من داود حسنى ، وزكريا أحمد وحتى منير مراد وبليغ حمدى ومرورا برياض السنباطى ومحمد عبد الوهاب ، ومدحت عاصم ، ومحمد القصبجى وأحمد صدقى ، ومحمود الشريف ومحمد فوزى على الرغم من اختلاف هؤلاء فى مدارسهم الموسيقية وأساليبهم اللحنية[١] وحينما اعتزلت ليلى مراد الغناء كانت فى قمة تألقها ونضارتها الفنية حتى تضمن لفنها البقاء فى ذاكرة المستمعين ، وأن يتجدد جمهورها جيلا بعد جيل ، ورغم محاولات البعض إقناعها بالرجوع عن قرار اعتزالها فقد تمسكت برأيها ٠

وهكذا استولت ليلى مراد بنت الزمن الجميل على كل المناطق البكر فى وجدان الشعب المصرى وأطلقت فى قلبه حنينا مميزا كان فرصة مواتية لإراحة الناس من متاعبهم وهمومهم ، وجعلت صدورهم تنفتح نحو حب الحياة خاصة وأن أغانيها كانت بمثابة عقد الورد الجميل الذى زينت به صدر السينما الغنائية ٠

ثانيا : فريد الأطرش بلبل صداح وافد من جبل الدروز

نشأ فريد فهد الأطرش وسط أسرة صوت معظم أفرادها كالبلابل المغردة فوالدته "علياء المنذر" كانت جميلة الصوت والوجه وإذا أمسكت بالعود تصدح مثل البلبل والكروان ، وكذلك كان صوت أخيه الأكبر فؤاد وأخته آمال (أسمهان) جميلا ٠

وقد وفدت هذه الأسرة إلى القاهرة من جبل الدروز بعد أن اشتعل لهيب الحركة الوطنية هناك ضد الاستعمار الفرنسى ، وعاشت ظروفًا صعبة لدرجة أن فريد اضطر إلى العمل فى متجر "بلاتشى" بالموسكى بمرتب ثلاثة جنيهات ، وكانت وظيفته أن يحمل البضائع إلى زبائن المحل على دراجة صغيرة[٢] ٠ ثم تفرغ فريد للغناء وعرفته صالات شارع عماد الدين حيث قطع مشواره الفنى فى فرقة "بديعة مصابنى" التى اشتهرت وقتذاك بتقديم الاسكتشات الاستعراضية ، وقد تأثر فريد بذلك مما جعله يخوض تجربة العمل بالمسرح الغنائى ، والسينما الاستعراضية [٣] ٠ والعمل فى فرقة إبراهيم حمودة الاستعراضية ٠

---

(١) أشرف غريب : مقال سابق ص ٢٢٩ ٠
(٢) سعيد أبو العينين : أسمهان لعبة الحب والمخابرات ص ١١ ٠
(٣) عادل حسنين : فريد الأطرش ، لحن الخلود ص ٣١ ٠

وقد داعب الحظ فريد عندما تعرف الموسيقار "مدحت عاصم" مدير الإذاعة - وقتذاك - على موهبته فى العزف والغناء ، وألحقه بالإذاعة فغنى فريد أول لحن له وهو "باحب من غير أمل" وفى عام ١٩٣٦ قدم فريد أغنية "ياريتنى طير لاطير حواليك" التى لفتت الأنظار إليه وكانت المفتاح الحقيقى لشهرته ، وعن طريق الإذاعة ازدادت شهرة فريد وظهرت مواهبه فى التلحين بجانب الغناء [١] . وقد تميز فريد بطابع خاص فى الأداء ، إرتبط بتكوينه وبيئته ونشأته حيث تأثر بأغانى الفلوكلور ذات الروح القومية العربية السائدة فى المنطقة كالشامية والبغدادية والتونسية والمغربية والمصرية وكذلك أغانى "الفلامنكو" الأندلسية وبدا ذلك واضحا فى أغانى "الدبكة" والموال لاسيما فى أغانيه التى استلهم فيها الروح الشعبية ، وأكسبته شعبية عريضة على مستوى الوطن العربى إمتدت إلى بلاد المهجر فى أمريكا اللاتينية حيث كان تأثير الأشواق والحنين بين المهاجرين العرب لأوطانهم [٢]. كما احتفظ فريد بطابعه الخاص الذى حافظ فيه على الموسيقى الشرقية الصميمة فى موسيقاه مستغلا فى ذلك بعض الإيقاعات التى يحبها أهل المشرق ، ونجح نجاحا كبيرا فى الغناء الاستعراضى [٣] .

وقد استطاع فريد بفضل موهبته فى التلحين منافسة عبد الوهاب خاصة بعد أن جنح إلى التجديد ، ولكن تفرغه للغناء فى الأفلام الاستعراضية أبعده عن المنافسة إلى حد ما خاصة بعد أن اتجهت أنظار السينمائيين إليه ، ورشحته بقوة ليكون نجما من نجوم السينما فتحول إلى العمل السينمائى ، وتعاقد فى عام ١٩٤٠ مع شركة أفلام النيل ليقوم ببطولة أول فيلم سينمائى له ، وهو "انتصار الشباب" والذى كان نقطة تحول هامة فى حياة فريد الأطرش الفنية ، واستمرت مسيرة أفلامه السينمائية حتى بلغت واحدا وثلاثين فيلما قام بإنتاج ثلثها لحسابه الخاص بينما قامت الشركات الأخرى بإنتاج بقية أفلامه . لقد أظهر فيلم "إنتصار الشباب" الذى مثله فريد مع أخته اسمهان موهبتها فى التمثيل والغناء ، كما أبرز موهبة فريد فى التلحين خاصة وأنه قام بتلحين جميع أغانى الفيلم ، هذا بالإضافة إلى أنه قام ببعض المحاولات الرائدة فى مجال الأوبرا والأوبريت والاسكتشات الغنائية والاستعراضية بين ما كان يقدمه من غناء فردى يستعرض فيه طبقات صوته

(١) عادل حسنين : مرجع سابق ص ٣٢-٣٣ .
(٢) محمد شوشة : مرجع سابق ص ٧٥-٧٦ .
(٣) عبد الحميد زكى : أعلام الموسيقى المصرية ص ١١٢ .

البلبل الصداح فريد الأطرش

دون أن تكون له وظيفة درامية لتعميق الإحساس بالموقف الدرامى حيث تصبح تلك الأغنيات عبارة عن مقطوعات غنائية قائمة بذاتها يمكن أن تنفصل عن مشاهد الفيلم[١] .

ولما كان للأغنية الفردية قيمتها الموسيقية المستقلة عن الفيلم فإنه كان يلجأ إلى تقديمها فى مشاهد سينمائية تضفى عليها إحساسا بصريا للإيهام بأهميتها فى الفيلم كما كان يغنيها فى حفل عام فى أثناء التدريب أو التسجيل من الاستوديو ، وكثيرا ما كانت تقدم تلك الأغنيات الفردية مع ترديدات أفراد الكورال أو على إيقاعات راقصة تؤديها راقصة أو مجموعة من الراقصات فى تشكيلات جمالية . وإلى جانب ذلك نقل فريد المسرح الاستعراضى إلى السينما الغنائية فى محاولات لتقديم عناصر الأوبريت السينمائية مثل "الغروب والشروق" فى فيلم "إنتصار الشباب" و"جوز الإثنين فى فيلم" عايزة أتجوز" و"قمر الزمان" فى "مانقولش لحد" و"بساط الريح" فى فيلم "آخر كدبة" و"فارس الأحلام" فى فيلم "لحن حبى" كما قدم فى فيلم "أحبك أنت" استعراضين موسيقيين متقابلين عبارة عن مفاضلة بين الموسيقى العربية والموسيقى الأوربية [٢] .

وإذا كان فريد قد بدأ حياته بالتأثر بالموسيقى الروما نتيكية الغربية إلى درجة أنه قد إلتصقت ببعض ألحانه الأولى بعض الجمل الموسيقية الأوربية مثل أغنيتى "ليه تهجرنى ليه ؟ " و"أنساك وافتكرك تانى" فإنه لم يلبث بعد ذلك أن عاد إلى طابعه الشرقى وابتعد عن النقل ، وإذ كان لم يتحرر فى الاقتباس فى الشكل والمضمون . لقد كان فريد الأطرش صاحب مدرسة لحنية وموسيقية ولكنها مدرسة لم يتخرج منها أحد خاصة وأنه لم يكن له تلاميذ يتبعونه ، ومع ذلك ففريد يعتبر علامة بارزة فى تاريخ السينما الغنائية وإضافة رائدة ومتميزة للأغنية السينمائية بعد عبد الوهاب[٣] . ويكفى فريد فخرا محاولاته الجادة لإحياء الموسيقى العربية والعمل على تطويرها عن طريق إدخال بعض الآلات الغربية فيها فقد أعطانا عبر موسيقاه الملامح الشرقية الأصيلة المتطورة التى تخلو من الرتابة ، تبرز الشعور بالإيقاع وتتميز الجملة الموسيقية فيها بالوضوح والبساطة لذلك وقع فى أسر إعجاب الجماهير ، ووقعت الجماهير أسيرة حب صوته ، وألحانه العظيمة [٤] .

---

(١) عادل حسنين : مرجع سابق ص ٣٧ .
(٢) محمد شوشه : المرجع السابق ص ٧٦ .
(٣) شوشه : مرجع سابق ص ٧٧ .
(٤) سمير فريد : مرجع سابق ص ٧٥ .

ثالثا : أسمهان الأميرة الدرزية ذات الصوت الملائكى

"آمال الأطرش" كما فى شهادة الميلاد أو "أميلى" كما كانت أسرتها تناديها والتى أطلق عليها الملحن داود حسنى اسم "أسمهان" بعد أن عملت كمطربة كانت صاحبة صوت ملائكى ، وعينان جميلتان ينبع منهما السحر والعجب ، وتختلط فيهما خضرة السندس بزرقه السماء ، والدتها الأميرة "عالية المنذر" التى كانت تهوى الغناء ، وتعزف على العود ، ووالدها الأمير "فهد الأطرش" ممثل طائفة الدروز فى لبنان وسليل أسرة "سلطان باشا الأطرش" أما أخواها فهما "فريد" و"فؤاد الأطرش" فكانا من أصحاب الأصوات الجميلة التى يهتز لها الوجدان .

ولدت "أسمهان" بجبل الدروز فى ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ وهاجرت مع أسرتها إلى مصر بعد أن بدأت حركة المقاومة الدرزية ضد الفرنسيين فى جبل الدروز ، والتحقت بمدرسة الراهبات بشبرا وهى فى سن العاشرة ثم تركت الدراسة وتفرغت للغناء بتشجيع من أمها، وكان صوت أم كلثوم أحب الأصوات إلى قلبها وعندما استمع الملحن" داود حسنى" إلى صوتها وهى تغنى لأم كلثوم إندهش لغنائها وعندما استمع "محمد عبد الوهاب" إلى صوتها الأخاذ الرائع توقع لها مستقبلا كبيرا فى عالم الغناء وخلال ذلك بدأت الأوساط الراقية تعرف "أسمهان" وتدعوها إلى حفلاتها وأفراحها ، فقد دعاها "طلعت حرب" رجل الاقتصاد المصرى الشهير للغناء فى الحفلات التى كان يقيمها بقصره ، وأدت معرفتها به إلى تعاقدها على الغناء فى الإذاعة ، وإلى قيام شركة بيضافون للأسطوانات بتسجيل أغانيها[1] .

واتسعت شهرة أسمهان وأقبل عليها متعهدو الحفلات وأصبحت المطربة الثانية بعد أم كلثوم خاصة بعد أغنيتها "يا نسيم الصبا تحمل سلامى" التى أظهرت فيها أحاسا فائق الدقه بالغناء العربى ، كما بدأت السينما تتجه إليها وكان أول فيلم غنت فيه أسمهان - ولم تظهر فيه هو "مجنون ليلى" الذى وضع ألحانه "محمد عبد الوهاب" وغنت "أسمهان" فيه دور "ليلى العامرية" وغنى عبد الوهاب دور "قيس" .

---

(١) سعيد أبو العينين : أسمهان لعبة الحب والمخابرات ص ١٠-١٣ .

أسمهان ذات الصوت الملائكي

أما عن أول الأفلام التى ظهرت فيها "أسمهان" فكانت "إنتصار الشباب" الذى شاركها "فريد الأطرش" فى بطولته ، وجعل منها نجمة مشهورة ذات صوت لامع شديد الحساسية ، كما لمعت أسمهان فى فيلمها الثانى "غرام وانتقام" كمطربة غنائية متميزة[١] .

ومع أن حياة أسمهان انتهت بعد حادث مريب ، فإن صوتها ظل باقيا ثابتا فى مكانته . إن مأساة أسمهان ستظل دموعا فى عيون كثير من الناس ، فقد رثاها شاعر لبنان الكبير بشارة الخورى بقصيدة بديعة حيث كان يرى فيها وترا من قيثارة ملائكة ضاع فى ليلة حالكة السواد ، حجبت السحب فيها ضوء النجوم . لقد كان صوت "أسمهان" مزيجا من صوت المرأة وصوت الكمان وصوت الناى وصوت الأوبوا [٢] وصوت الحمامة المطوقة فى تركيب عجيب فاتن يكاد يجعل منه صوتا ملائكيا[٣] .

---

(١) كمال النجمى : الغناء المصرى ص ١٠٤-١٠٥ .

(٢) آلة نفخ موسيقية .

(٣) النجمى : الغناء العربى ص ١٠٠-١٠١ .

رابعاً : عبد الحليم حافظ إنطلاقة جديدة فى سماء الطرب

امتدت فترة نجاح عبد الحليم حوالى عشرين عاما من منتصف الخمسينيات إلى منتصف السبعينيات ٠ وقد شهدت فترة ازدهار نجاحه وشعبيته الكاسحة ازدهارا رائعا فى شتى جوانب الحياة الثقافية فى مصر ، واقترن هذا الازدهار بالتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أحدثتها ثورة يوليو ١٩٥٢ فالعلاقة بين أغانى عبد الحليم والتحولات السياسية والاجتماعية لا تقتصر على أنها ظاهرة فنية موهوبة فحسب بل هى ظاهرة تاريخية واجتماعية أيضا ، فقد عبر عبد الحليم فى أغانيه عن الثورة وإنجازاتها ، وعن مكاسبها التى حققتها لها الثورة [١] مما اعطاه الفرصة ليصبح نجم الشباب الأول ٠

لقد نشأ عبد الحليم يتيما وعانى مرارة الحرمان بعد أن فقد أمه ساعة مولده ، وفقد والده بعد أمه بأسبوعين وعاش كقروى بسيط ، ضعيف البنية بحكم ما دخل جسمه وهو صغير من أمراض كالبلهارسيا وغيرها حيث لم يدرك أن الترعة التى لم يعط ظهره لها فى قريته بالشرقية ستصبح سبب عذابه وسيظل يعانى من آثارها مثل ملايين القرويين المصرين ، ثم تيسرت له فرصة الدراسة فى المعهد العالى للموسيقى المسرحية الذى تخرج منه فى عام ١٩٤٩ ، وساعدته موهبته على الصعود إلى ميكروفون الإذاعة ، فقبل مطربا إذاعيا بعد أن استمعت إليه لجنة سماع الأصوات بالإذاعة فى أغنية "ظالمه" التى لحنها له "محمد الموجى" ، وابتسم له الحظ إذ صادف نضج موهبته التحول الاجتماعى الذى صاحب ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فشارك فى مهرجانات هيئة التحرير التى كانت تقام بمناسبة احتفالات ثورة يوليو ، وكان رغم حزنه الدفين الموروث من أيام الحرمان الطويلة التى عاشها فرحا سعيدا مثل بقية أبناء طبقته من المصريين بما تحقق على أيدى الثورة ، فراح هو وجيله يغنون لأول مرة أغانى مرحة متفائلة بالحياة وغير يائسة من لقاء الحبيب كما كانت تتردد الأغانى السائدة فى ذلك الوقت والتى كان الحزن يخيم على أغانى الحب واليأس من فراق الحبيب ولهيب الشوق الذى يصعب أطفاؤه فغنى أغنية

---

(١) جلال أمين : ماذا حدث للمصريين – تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥-١٩٩٥ ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ص ٢٢٠ ٠

عبد الحليم حافظ

عبد الحليم مع فريد الأطرش

شادية و عبد الحليم حافظ في فيلم لحن الوفاء

"صافيني مرة [1] " التى نالت أعجاب الحاضرين لما فيها من فرح وابتهاج بالحياة ، وتفاؤل برضا الحبيب وكانت سببا فى انطلاق شهرة عبد الحليم وإعجاب الملايين بصوته فأصبح معروفا ومشهورا والناس تشير إليه فى كل مكان ، ويطلبون أغانيه فى الحفلات[2] .

وقد لعب الموسيقار "محمد حسنى الشجاعى" والموسيقار "كمال الطويل" و"محمد الموجى" أدوارا مهمة فى حياة عبد الحليم ، فقد وجهه الشجاعى إلى دراسة الآلات الموسيقية التى صقلت مخارج صوته وقامت بزيادة حصيلته كمطرب ، وجعلته أقدر على معرفة إمكانات صوته • وشجعه "كمال الطويل" على احتراف الغناء بعد أن تخصص فى دراسة الآلة الموسيقية "الأبوا" ، وساعده فى العمل كمطرب رسمى بالإذاعة • أما محمد الموجى فقد كان بمثابة الانطلاقة الجديدة التى ساعدت عبد الحليم على الظهور خاصة وأنه كان يبحث عن أداء وأسلوب جديد فى الغناء ، وكان عبد الحليم بمثابة هذه الانطلاقة • ونتيجة لذلك أخذ الطويل والموجى يركزان أعمالهما على عبد الحليم بعد أن كانا يوزعان الألحان بين "نجاح سلام" ونجاة " وصباح" ومحمد قنديل" وإلى جانب ذلك فقد كان من حسن حظ عبد الحليم أن يلتفت "محمد عبد الوهاب" و"أم كلثوم" إلى صوته من خلاله تسجيلاته الصوتية •

فقد تعرف عبد الوهاب على عبد الحليم عندما استمع إلى صوته وهو يغنى فى الإذاعة بصوته الحالم الرقيق "ياتبر سايل بين شطين يا حلو يا أسمر" فاستدعاه إلى مكتبه واستمع إلى صوته بعد أن غنى له أغنية "جبل التوباد" التى كانت بصوت عبد الوهاب ومن ألحانه الرائعة ، والذى استطاع عبد الحليم أثناء غنائها أن يكون فوق مستوى التقليد ، فغنى بإحساسه وانفعاله ، وبطبيعة صوته المستقلة ، وليس كما يقلد الآخرون عبد الوهاب تقليدا أعمى • وقد أراد عبد الوهاب فى بداية علاقته بعبد الحليم أن يحتكر أعماله كمطرب تسجل أغانيه على أسطوانات وفى أفلام من انتاجه خاصة وأن عبد الوهاب شعر بحاسته الفنية بأن عبد الحليم "هو الواد اللى هايكسر الدنيا" وسرعان ما

---

(١) كتبت هذه الأغنية ولحنت ليغنيها عبد الغنى السيد ، ولكن كلماتها لم تعجبه فكانت من حظ عبد الحليم •

(٢) مجلة أكتوبر : العدد ٨٣٤ فى ١٨ أكتوبر ١٩٩٢ حوار لحلمى البلك مع مجدى العمروسى •

غضب عبد الوهاب على عبد الحليم بعد أن خرج عن طوعه وتعاقد مع السيدة آسيا التى انتجت له فيلم "لحن الوفاء" فأمر بعدم دخوله مكتبه ، وسرعان ما عادت الأمور إلى مجاريها بعد أن تدخل مأمون الشناوى فى الأمر وحضر عبد الحليم واعتذر لعبد الوهاب وقبّل رأس الأستاذ ، ومن وقتها دخل عبد الحليم قلب عبد الوهاب وأصبحا صديقين وشريكين [1] . وسارت الأمور على ما يرام ، وأصبح لعبد الحليم مكانة خاصة عند عبد الوهاب خاصة وأنه كان معجبا بصوته وأسلوبه فى الأداء ، ودقته فى التدريب ، فبدأ يلحن له معربا عن حاجة المجتمع إلى صوته ، ومن هنا أصبح لعبد الحليم كيان مستقل ، ووجود مؤكد وبصمة واضحة فى عالم الغناء وكانت أول أغنية لعبد الحليم من ألحان عبد الوهاب هى :

إيـــه ذنبـــى إيـــه ... مـــا تقـــولى عليـــه

تخاصـــمنى ليـــه ... لمـــا انـــت حبيبـــى

وقد نجحت هذه الأغنية نجاحا هائلا ، وكان عبد الحليم سعيدا بنجاحه الذى ساعده فيه التغيرات التى أحدثتها الثورة ، فغنى الأغانى التى تنطوى على اعتزاز المصرى بنفسه سواء إزاء الحبيب أو المحتل الرابض على أنفاس أبناء وطنه وغنى للسد العالى ، قلنا إحنا هانبنى وأدى احنا بنينا السد العالى ، يا استعمار بنيناه بايدينا السد العالى وغنى لعبد الناصر أغان عديدة منها أغنية ناصر ، وأغنية أحلف بسماها وبترابها أحلف بدروبها وأبوابها ، ما تغيب الشمس العربية طول ما أنا عايش فوق الدنيا ، وظل عبد الحليم رمزا للأمل والمستقبل الزاهر وساعده فى ذلك أبناء جيله من الشعراء والملحنين فقدم له "صلاح جاهين" و"مرسى جميل عزيز" و"الأبنودى" كلمات أغانى ذات معان بهيجة وبسيطة ومعبرة وصادقة ، ولحن له "كمال الطويل" و"الموجى" و"بليغ حمدى" مجموعة من الألحان الجميلة والصادقة التى أطلقت طاقاته الشعورية عند حدها الأقصى ، وشكلت من أدائه شخصية غير مسبوقة فانطلقت نبرات صوت عبد الحليم مستمدة من أحاسيس الطبقات الشعبية المصرية ، ومن تراثها الموسيقى فغنى للناس ، وغنت الناس معه . ونتيجة لذلك احاطت

---

(1) كامل الشناوى : مجلة الفن أول أبريل ١٩٩١ .

الثورة وزعيمها جمال عبد الناصر عبد الحليم بذراعيها ، وكانت أغانيه بمثابة الصوت المعبر عن أهدافها .

ومما يذكر أن الرئيس عبد الناصر وقف بقوة بجانب عبد الحليم وساعده على تخطى المشاكل التى تعرض لها ، فعندما شارك عبد الحليم فى حفل كانت تغنى فيه أم كلثوم ، وقد غنت أم كلثوم قبل عبد الحليم وتألقت كالعادة ، وامتعت الجمهور الذى طالبها بالمزيد لدرجة أنها أنهت وصلتها فى الثالثة صباحا وسط ثورة من التهليل والتكبير ولما صعد عبد الحليم للغناء كانت نصف الصالة قد خرجت مما جعله يعلن على الهواء أن أم كلثوم تعمدت أن تطيل فقرتها الغنائية حتى تقلل من قدره أمام الناس حين يغنى بعدها ويكون الجمهور أغلبه قد انصرف وأنه لا يعرف إذا كان طلوعه على المسرح بعد كوكب الشرق معناه شرف له أم مقلب قد شربه ولما سمعت أم كلثوم بذلك غضبت غضبا شديدا مما دفع المشير عامر إلى التدخل وإصدار أوامره لعبد الحليم بالاعتذار لها وإلا قام باعتقاله . وهنا تدخل عبد الناصر فى الموقف لحماية عبد الحليم ، وقرر أن يجعل أم كلثوم هى نجمة حفل عيد الثورة بينما يكون عبد الحليم منفردا هو نجم حفل عيد تأميم قناة السويس[1] .

والسؤال المطروح هو ماذا عن علاقة عبد الحليم بفريد الأطرش وهل استمر الوفاق بينه وبين عبد الوهاب . الواقع أنه كان لكل من المطربين لونه الخاص وقد التقيا خلال رحلة العمر على ود ومحبة ، وإن كان البعض قد نجح فى تعكير صفو علاقتهما فى كثير من الأحيان وتصوير جو من المنافسة المفتعلة بينهما ، وقد أكد ذلك الصحفى الكبير مصطفى أمين بقوله "لم يحارب عبد الحليم فريد الأطرش ولم يدفع أحدا إلى اضطهاده ، ولكن الشلة التى كانت حول فريد هى التى صوّرت له هذا .. ولو قدر لفريد أن يجد فى حياته الناصح الأمين ، أو الصديق الوفى أو الشريك كما وجد عبد الحليم حافظ لكان نجاحه الكبير قد تضاعف مرات ومرات" .

أما عن علاقة عبد الحليم بعبد الوهاب فقد إزدادت وثوقا لدرجة أن عبد الوهاب لحن له أغنية" من غير ليه" ليغنيها بعد عودته من رحلته العلاجية فى أوربا ، ولما كان للقدر

---

(1) سعيد عكاشة : السياسى والفنان ، عبد الناصر وأم كلثوم مقال بهلال نوفمبر ٢٠٠١ ص ١٣٢ .

رأى آخر فقد سعى كثير من المطربين والمطربات الفوز بالأغنية غير أن عبد الوهاب رفض أن يعطيها لأى منهم وغناها بنفسه [1] خاصة وأنه لم يكن ملحنا محترفا يذهب له المطربون فيلحن لهم ، ولكنه كان يفضل صاحب الصوت الجميل ليلحن له ، هذا عن دور عبد الحليم فى الغناء أما عن دوره على شاشة السينما فقد ظهرت له أفلام عديدة منها فيلم لحن الوفاء وكان أول أفلامه التى فتحت له النافذة الكبيرة على الشاشة البيضاء ، كما كان الدرس الأول له فى عالم السينما وحول ذكريات عبد الحليم عن هذا الفيلم يذكر "انتقلنا إلى تصوير خارجى ، انطلقنا إلى حديقة الأسماك لتصوير مشهد وكان المشهد بينى وبين المطربة شادية وكان علىَّ أن أمسك بيدها ، وأن أغنى لها ، وأن أقول لها كلمات الحب ، وفجأة شعرت بأننى مراقب لقد تجمهر جمهور حديقة الأسماك حولنا ، وفقدت كل قدرتى على مواجهة الكاميرا وعلى مواجهة شادية ، وعبثا حاول المخرج "إبراهيم عمارة" إقناعى بمواصلة التمثيل ولكن كنت أخاف من ازدحام الناس حولى ، واضطر "إبراهيم عمارة" أن يستعين بالبوليس .. وكانت هى المرة الأولى التى أغنى فيها وأمثل أيضا ، فى حراسة الهراوات والبنادق والخوذات[2] . وتوالت بعد ذلك أفلام عبد الحليم التى عشقها الشباب والتى قام بتمثيلها مع مشاهير الممثلات فى ذلك الوقت مثل أيامنا الحلوة مع فاتن حمامة ، وليالى الحب مع آمال فريد ، ويوم من عمرى مع زبيده ثروت ، والخطايا مع نادية لطفى، وشارع الحب مع صباح ، ومعبودة الجماهير مع شادية ، والبنات والصيف مع سعاد حسنى وزيزى البدراوى ، وأبى فوق الشجرة مع نادية لطفى وهكذا والواضح أن عبد الحليم فى أدائه لأغانى هذه الأفلام كان قد تأثر بأغانى عبد الوهاب السينمائية ، وإن لم يقلدها . وقد نجحت هذه الأفلام وأصبح عبد الحليم على كل لسان .

والخلاصة أن صوت عبد الحليم كانت له مكانة خاصة بين الناس خاصة لدى الشباب المحبين من الجنسين فكان صوته أحب الأصوات لديهم وأكثرها نفاذا إلى قلوبهم ، وكانت أغانيه تتردد على أفواههم خاصة وأنها كانت أحسن أصوات المطربين الشبان الذى أمتاز بمتانه أدائه ودقته ومعدن صوته الخصب وفطرته الموسيقية الغنائية .

---

(1) رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ٤٣ – ٤٤ .

(2) عبد الحليم حافظ . مذكراته ومجموعة أغانيه ، بيروت ، المكتبة الحديثة ص ٤٤-٤٥ .

خامسا : فيروز صوت الجبل الذى جمع بين الموسيقى والطرب

ورقة الإحساس

فيروز هو الاسم الفنى الذى أشتهرت به الفتاه اللبنانية "نهاد حداد" الذى اكتشف صوتها النفيس أستاذ الموسيقى اللبنانى محمد فليفل فى عام ١٩٤٧ وهى تردد من شباك بيتها فى حى زقاق البلاط وسط بيروت أغانى "أسمهان" و"ليلى مراد" كما أدرك بحدسه الموسيقى نبع الطرب والفن الساكن فى حنجرة هذه الفتاة خلال إحدى الحفلات المدرسية ، فأخذ بيدها وتبنى رعاية صوتها ، وقدمها إلى اذاعة بيروت ، وهناك بدأت رحلة الغناء عبر الأثير[١] ، وبرزت نفاسة نبرات صوتها وهى لا تزال فى الرابعة عشر من عمرها ، عندما سمعها حليم الرومى بالإذاعة اللبنانية • ويرتبط تاريخ فيروز الغنائى بتاريخ الأخوين رحبانى اللذين ركزا على مساحة التنوع فى صوتها فغنت على المقامات العربية باتقان شديد ، وعلى المقامات الأوربية بنفس الإتقان ، ومضت ألحان الرحبانية بصوت فيروز تشق المستقبل وتعبده ، وتحط رحالها كزهرة طازجة تشدو من قلبها ، وساعدها فى ذلك الشعر الجميل الذى تغنت به وظل محفورا فى الوجدان ، فغنت للبنان ، وللقدس والعروبة ، وغنت للحرية ، وللوردة ، والمنديل والأمل ، والسلام واستطاعت أن ترسم البسمة فى وجوه الحزانى والمكلومين واستمرت فى عطائها رغم خلافاتها مع زوجها "عاصى الرحبانى" رمزا للتألق والبهاء والشجن العذب ، واستطاعت أن تحقق نجاحات كثيرة ، وإن كان ابنها "زياد رحبانى" لم يضف إليها بل أضاف لنفسه نجاحا على حسابها • وحول علاقة فيروز بقطبى الطرب فى مصر عبد الوهاب وأم كلثوم • فقد سمح عبد الوهاب لفيروز بغناء "ياجارة الوادى" و"خايف أقول اللى فى قلبى" بدعوى إظهارهما فى إطار جديد من التوزيع الموسيقى[٢] كما لحن لها أغانى "إسهار بعد سهار" و"سكن الليل" و"مَرَّبى" •

أما عن علاقتها بأم كلثوم فقد كانت فيروز تنظر إليها كالمظلة الواقية لكل المطربات وكانت أم كلثوم تعتبر فيروز مرحلة غنائية لها حجمها ، وقيمتها ، ووزنها • والواقع أن صوت فيروز كان ينتمى إلى "السوبرانو الثقيل" أى الصوت الذى يخرج من الرأس مثل الغناء الأوبرالى فى حين أن صوت أم كلثوم كان من الأصوات القوية التى تمتلك القدرة

---

(١) الأهرام العربى العدد ٢١٧ فى ١٩ مايو ٢٠٠١ •

وقد أطلق عليها حليم الرومى مدير الإذاعة اللبنانية اسم فيروز لنفاسة صوتها الذى اعتبره كحجر الفيروز •

(٢) كمال النجمى : الغناء المصرى ص ١١٧ •

فيروز صوت الجبل

المطلقة على الأداء ، ففى حين كان صوت فيروز مثل البسكوته التى تذوب من فرط رقتها وتشعر معها بعفوية الكلمة وتلقائية المعنى وطزاجة الفكرة سواء غنت للحب أو للوطن ، كان صوت أم كلثوم يشعر مستمعه وكأنه يتناول وجبة دسمة ، ويتمثل فيها شموخ مصر الذى لا يتغير سواء أكانت أغانيها للحب أو أغان وطنية أو دينية . ولعل أبرز تعبير للمقارنة بينهما ما ذكره الصحفى مفيد فوزى بقوله أسمع أم كلثوم لكنها تثير مواجعى ، وأسمع فيروز فتصالحنى على نفسى إذا غضبت من نفسى . وعلى أى حال فإن صوت فيروز الذى يعد من الأصوات المميزة فى عالم الطرب لم يجد مكانه مع المناخ الحالى الذى تعيش فيه الأغنية العربية والذى يعتبر عصر فوضى الغناء مما جعلها تترك الميدان ، وإن كانت أغانيها ومرحلتها الغنائية ستظل محفورة فى الوجدان ، كما أن صوتها سيظل أنغاما ملائكية تحلق بالإنسان فوق السحاب فى سموات بلا غيوم خاصة وأنها مبدعة ، وأن إبداعها ليست له حدود .

سادسا : نجاة الصغيرة بين الغناء الباكى والألحان المتفائلة

إسمها نجاة وأطلقت عليها الصحافة نجاة الصغيرة حتى لا يختلط إسمها باسم المطربة الشهيرة نجاة على . وبدأت حياتها الفنية بتقليد أم كلثوم ولم يبدأ ميلادها الفنى إلا بعد أن تبنى الملحن كمال الطويل صوتها الذى إنبعث يحمل آثار الخوف من التجربة الجديدة يغنى "ليه خليتنى أحبك" وكانت من أغانى ليلى مراد" و"أسهر وانشغل أنا" والتى سارت فيها على منوال أم كلثوم وسرعان ما وجدت نجاة لونها الخاص بعد اعتكاف ليلى مراد عن الغناء ، وانصراف شادية إلى التمثيل ، فبدأت تحقق ذاتها وتؤدى دورها الغنائى الذى بدأ جمهور المستمعين يتذوقه ، وقد وجدت نجاة مستقبلها فى الأغانى العاطفية الخفيفة التى تتناسب ومقامات صوتها وإمكاناتها فى الأداء والتعبير . ومع أنها أسرفت فى الغناء الباكى فقد غنت بعض الألحان المتفائلة[1] . وقد وقف عبد الوهاب بجانب نجاة الصغيرة ، ولحن لها العديد من الأغانى التى كان من أشهرها "أيظن .. أنى لعبة بيديه أنا لا أفكر فى الرجوع اليه" وهى من كلمات نزار قبانى والتى صاغها عبد الوهاب بسلاسة وعبقرية بحيث بدت وكأنها سيمفونية "للهمس" تشى فيها كل جملة لحنية بحزمة كاملة من المشاعر[2] .

---

(1) كمال النجمى : الغناء المصرى ص ١٥٣-١٥٤ .
(2) عمرو عبد السميع : جمهورية الحب ص ٢١٠ .

نجاة الصغيرة

كما وقف الشاعر كامل الشناوى بجانب نجاة وقدم لهـــا أحلـــى قصـــائده وهـــى لا تكذبى ٠٠ إنى رأيتكما معاً ، ودعى البكاء فقد كرهت الأدمعا ، ما أهون الدمع الجسور إذا جرى من عين كاذبة فأنكر وأدعى !! إنى رأيتكما ، إنى سمعتكما ، عيناك فى عينيـــه فى شفتيه ، فى كفيه فى قدميه ، والتى أثارت الكثير من الحكايات والتفسيرات ما لم تثره قصيدة أخرى ٠ وقد أبدعت نجاة الصغيرة فى غناء هذه القصيدة لدرجة أنها تعـــد مـــن أشهر أغانيها التى تمتزج فيها الدموع بالحب[١] .

(١) نوال مصطفى : نجوم وأقلام ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ ص ١٥١ ٠